مجلة جامعة الأزهر – غزة، سلسلة العلوم الإنسانية 2013، المجلد 15، العدد 2 ص 281-304

التحالفات والصراعات في العلاقات العربية – الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى نهاية حقبة السبعينيات

ايمن عبدالعزيز شاهين
قسم العلوم السياسية
جامعة الأزهر – غزة

وجيه محمد أبوظريفة
صحافي و متخصص بالشؤون الإسرائيلية

تاريخ الاستلام 2010/1/23 تاريخ القبول 2013/11/7

الملخص: بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ورثت الولايات المتحدة الأمريكية القوى الاستعمارية التقليدية في الهيمنة على المنطقة العربية، و عملت على تأمين مصالحها بالدرجة الأساسية و كذلك مصالح القوى الغربية. تركزت المصالح الأمريكية في المنطقة العربية على عدد من القضايا منها؛ السيطرة على منابع النفط و ضمان تدفقه بشكل منتظم و بالكميات المناسبة و الأسعار الملائمة، و وقف أي تغلغل للاتحاد السوفيتي في المنطقة. حاولت الولايات المتحدة صياغة تحالفات لها في المنطقة العربية في السنوات العشر الأولى لنهاية الحرب العالمية الثانية، و في نفس الوقت عملت جاهدة للحفاظ على امن إسرائيل و منع أي تهديد لها و ارتبطت بتحالف استراتيجي قوي معها. إلا أن عقد الستينات شهد فشلاً ذريعاً لتحالفات الولايات المتحدة في المنطقة العربية بسبب دعمها لإسرائيل و نمو النزعة التحررية التي سادت المنطقة العربية و ظهور أنظمة عربية معارضة للسياسة الأمريكية في المنطقة. جاءت حقبة السبعينيات من القرن العشرين لتعطي الولايات المتحدة زخما و قوة في نفوذها في المنطقة العربية حيث لعبت دورا محوريا في صياغة سياسة المنطقة.

Abstract

After the end of World War II, the United States inherited the traditional colonial powers to dominate the Arab region. It worked to secure its fundamental interests as well as the interests of the Western powers. Focused on U.S. interests in the Arab region on a number of issues, including; control of the oil flow and ensure a regular basis and in appropriate quantities and prices that suit, and stop any penetration of the Soviet Union in the region. United States has tried to forge alliances in the Arab region in the first ten years of the end of World War II, and at the same time worked hard to maintain the security of Israel and to prevent any threat to the newly born state and linked itself with a strong strategic alliance. However, the sixties showed the failure of U.S. alliances in the Arab region due to; its support for Israel, the growth of libertinism that had prevailed among Arabs, and the emergence of Arab regimes opposed to U.S. policy in the region. The era of the seventies of the twentieth century gave the United States impetus and strength of its influence in the Arab region and played a pivotal role in the formulation of regional politics.

مقدمة

كان اقتراب الولايات المتحدة من المنطقة العربية خجولا في مطلع القرن العشرين، إلا أنه و بعد انتصار الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية على دول المحور، و ما تبعه من ضعف للإمبراطوريات الاستعمارية التقليدية القديمة، سعت الولايات المتحدة لوراثة هذه الإمبراطوريات و الهيمنة على العالم و مل الفراغ الذي نتج عن ضعف تلك الإمبراطوريات بسبب الحرب. كان من وسائل الولايات المتحدة في سعيها للهيمنة الكونية إرساء دولة الأمن القومي، حيث بدأت بإنشاء وكالة المخابرات المركزية، و مجلس الأمن القومي، و قياده سلاح الجو، ووكالة الأمن القومي، و قد تمثل ذلك النهج الجديد في مبدأ ترومان الذي عجل في إشهاره نشوء قطب جديد منافس و إن كان ضعيفا بالقياس لإمكانيات و قدرات الولايات المتحدة، رغم حلفاء هذا القطب في أوروبا الشرقية و أسيا (الطويل، 2002م، 39؛ هلال، 1979، 30).

مع بداية الحرب العالمية الثانية لامست القوات الأمريكية أرض المغرب العربي، و رعت التمرد على الاستعمار الفرنسي في تونس، و دعمت الملك فاروق، و بعض الانقلابات العسكرية في سوريا، و ساندت كميل شمعون في لبنان، و حاولت توحيد الأردن مع العراق أو ضمه إلى حلف بغداد، و رسخت علاقاتها مع الأسرة الحاكمة في السعودية، و أقامت قاعدة لها في المغرب (بلقيز، 2002م، 69). و شكلت الدول الحليفة لها في تركيا و إيران و إثيوبيا، و كذلك قواعدها العسكرية و القواعد العسكرية لحلفائها الغربيين في كل من ليبيا وكينيا و تشاد، إضافة لوجود إسرائيل في قلب الوطن العربي، كلها مثلت طوقا حول المنطقة العربية.

أيدت ودعمت الولايات المتحدة المشروع الصهيوني في فلسطين، حيث أبدى الرئيس الأمريكي ولسون و بعد عشرة أشهر من صدور وعد بلفور عام 1917م، تأييده للصهيونية في رسالة بعث بها إلى الحاخام ستيفان وايز رئيس اللجنة الأمريكية المؤقتة للشؤون الصهيونية العامة. ويروي وايزمان على لسان ولسون قوله "إنني مقتنع بان الأمم الحليفة بالتعاون التام مع حكومتنا و شعبنا قد اتفقت على أنه ستقام في فلسطين أسس الدولة اليهودية" (الحوت، 1991م، 473). بذلت الولايات المتحدة جهداً كبيراً في صياغة وتمرير القرار رقم 181 و المعروف بقرار التقسيم، الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1947م، و قد اعترفت بإسرائيل منذ الساعات الأولى لإعلانها في مايو أيار 1948م.

مع هبوب رياح الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية و ما تلاه من قيام إسرائيل و بروز حركات التحرر في العالم الثالث، و صعود التيار القومي العربي بوصول عبد الناصر للحكم في مصر 1952م التي تعتبر أهم و أكبر دولة عربية، و كذلك

نجاح ثورة يوليو تموز 1958م في العراق و غيرها من التغيرات في المنطقة العربية، جعلت الولايات المتحدة تقترح عدداً من السياسات و الاستراتيجيات الخاصة بتعاملها مع المنطقة.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها

شكلت نهاية الحرب العالمية الثانية حقبة جديدة في نسق العلاقات الدولية، وفي تشكيل الخارطة السياسية الدولية، فبعد أن كان النظام الدولي متعدد الأقطاب، أصبح العالم يحكم بقطبين؛ هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي. وفي ظل الوجود الغربي للوطن العربي ورثت الولايات المتحدة الأمريكية الهيمنة على المنطقة العربية من القوى الاستعمارية، وبدأت في تحديد تحالفاتها للحفاظ على مصالحها وتأمينها. إن مشكلة الدراسة تكمن في طبيعة العلاقات العربية الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى السبعينيات من القرن العشرين، ووفقاً لذلك يمكن صياغة المشكلة في التساؤل الرئيسي التالي:

ما هي طبيعة التحالفات والصراعات في العلاقات العربية – الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى السبعينيات ؟

وينبثق عن التساؤل الرئيسي مجموعة من التساؤلات الفرعية وهي:

1. كيف تشكلت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية لإيجاد تحالفات لها في المنطقة العربية بعد الحرب العالمية الثانية؟
2. إلى أي مدى نجحت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في صياغة التحالفات في منطقة الشرق الأوسط وإلى أي مدى فشلت؟
3. هل استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية من إعادة تشكيل المنطقة العربية في فترة السبعينيات بما يخدم مصالحها وهيمنتها؟

فرضيات الدراسة

1. إن الولايات المتحدة الأمريكية سعت منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية إلى فرض نفسها كلاعب وحيد في المنطقة العربية للهيمنة عليها والتحكم فيها وبثرواتها الطبيعية.
2. إن السياسة الخارجية الأمريكية تجاه المنطقة العربية هدفت لخدمة أهداف إستراتيجية ثابتة إلى حد كبير تعتمد مصالحها، و ضمان أمن إسرائيل.

أهداف الدراسة

1. التعرف على واقع السياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية حتى سبعينيات القرن العشرين وتحديد الملامح والآليات التي ساهمت في

تشكيلها.

2. دراسة أهم التحالفات التي نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في صياغتها تجاه المنطقة العربية وأهم الصراعات مع الدول العربية التي نجمت عن فشلها في صياغة تحالفات معها.
3. تحديد أهم الأهداف التي حاولت الولايات المتحدة الأمريكية الوصول إليها كأهداف استراتيجية ثابتة لا يمكن أن تتغير خلال فترة الدراسة والتي وظفت كل طاقاتها وإمكانياتها من أجلها.

أهمية الدراسة

1. تعتبر دراسة السياسة الأمريكية من الدراسات المهمة في منطقة الشرق الأوسط نتيجة التداخل الأمريكي فيها لمدة أكثر من نصف قرن من الزمن.
2. تفتح الدراسة المجال أمام الباحثين لتناول فترات زمنية أخرى قد تثبت ما توصلت إليه هذه الدراسة وتؤكد تعميم نتائجها، وقد تضيف عليها نتائج جديدة تساهم في مجملها في فهم السياسة الخارجية الأمريكية تجاه المنطقة العربية.
3. تساعد الباحثين والمهتمين ومراكز البحث العلمي المتخصصة في الشؤون الأمريكية وفي الشرق الأوسط في فهم أكبر وأعمق لواقع العلاقات الأمريكية العربية.

منهجية الدراسة

إن طبيعة الدراسة القائمة فرضت أن يستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لوصف الظاهرة وتحليلها، للوصول إلى أسبابها ومسبباتها والعوامل التي ساهمت في تشكلها وفي نجاحاتها وإخفاقاتها مستعينا بذلك بالمنهج التاريخي للرجوع إلى كل ما كتب عن الظاهرة قيد الدراسة.

حدود الدراسة

تمثلت حدود الدراسة في المنطقة العربية وواقع علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية خلال الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية 1945م وحتى حقبة السبعينيات من القرن العشرين.

المحاولات الأمريكية لإيجاد تحالفات بالمنطقة بعد الحرب العالمية الثانية

أولا: سياسة الولايات المتحدة في المنطقة العربية بعد الحرب العالمية الثانية

ازداد اهتمام الولايات المتحدة بالمنطقة العربية بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها و ذلك لأهميتها، باعتبارها منطقة حيوية للمصالح الاقتصادية و التجارية الأمريكية، فهناك الاستثمارات الأمريكية في مجالات البحث و التنقيب و استخراج البترول، و كذلك كون دول المنطقة سوقا لتصريف المنتجات الأمريكية، علاوة على ما يوجد في المنطقة من ممرات مائية هامة مثل مضيق

هرمز و مضيق باب المندب و قناة السويس. و ازدادت هذه الأهمية بحكم متاخمة المنطقة للحدود الجنوبية للاتحاد السوفييتي، كل ذلك يتطلب تأمينا و حماية لهذه المصالح و بالتالي فقد أدركت الولايات المتحدة أن عليها أن تلعب دور قيادة المعسكر الغربي في مواجهة الاتحاد السوفيتي، ثم أخذت تتأهب لوراثة القوى الاستعمارية التقليدية في المنطقة (حامد، 2002م، 37).

ومن هنا فقد صيغت سياسة الولايات المتحدة لتامين مصالحها و وراثة القوى الاستعمارية التقليدية على الأسس التالية (مقابلة تلفزيونية مع هيكل، 9 يناير، كانون ثاني 2007م) :

1) ضمان تدفق النفط من المنطقة العربية إلى الولايات المتحدة و الدول الغربية بشكل منتظم و بالكميات المناسبة و الأسعار الملائمة، من خلال الاستيلاء على منابع النفط و السيطرة عليه ماديا و سياسيا و احتكار أي تقنية لتطويره.
2) تطويق الاتحاد السوفيتي و محاصرته و منع أي إمكانية له للتغلغل إلى المنطقة العربية، و ذلك بعزله نهائيا عنها و التصدي لأي محاولة له للدخول إليها.
3) حماية طرق المواصلات إلى شمال أفريقيا و المحيط الهندي و التحكم بها.
4) استمرار فرص التجارة و الاستثمار في المنطقة النامية.
5) استثمار رؤوس الأموال النفطية في الاقتصاد الأمريكي و الغربي.

كان ما سبق هو ما تخطط له الولايات المتحدة عند نهاية الحرب العالمية الثانية عام 1945م، في حين يتطلع العرب للولايات المتحدة باعتبارها قائد العالم الحر، و أملوا منها أن تقف إلى جانبهم و تؤيد مطالبهم القومية المشروعة في تحقيق الاستقلال الوطني التام و التخلص من الاستعمار الذي عانوا منه، و اعتبروا أن وقوف الولايات المتحدة على رأس الحلفاء بما لها من سمعة طيبة، و ما كان يصدر عن قيادتها من تصريحات مؤيدة لحق الشعوب في تقرير المصير سيؤدي حتما إلى نيلهم الاستقلال. و بالفعل وقفت الولايات المتحدة إلى جانب سوريا و لبنان و المغرب في مطالبهم بالاستقلال عن فرنسا (Khadduri, 1961, 20).

في 29 نوفمبر، تشرين الثاني 1947م أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة تقسيم فلسطين إلى دولتين واحدة عربية و الأخرى يهودية، و لقد كان للدور الأمريكي الفاعل و الضاغط و التهديد الذي مارسته على الدول الصغيرة و الفقيرة الأعضاء في الجمعية العامة للأمم المتحدة، أثر كبير في استصدار القرار رقم 181 (زعيتر، 1955م، 202؛ Smith, 1992, 138). لم تقف الولايات المتحدة عند هذا الحد من الدعم للحركة الصهيونية بل قامت بمنح إسرائيل الدولة الوليدة بعد الانسحاب البريطاني من فلسطين في 15 مايو أيار 1948م قرضاً مهماً بقيمة 135 مليون دولار (غرين، 1992م، 9).

ترك السلوك الأمريكي حالة من المرارة لدى العرب، و ساهم في تآكل مصداقية الولايات المتحدة كراعية لحقوق الشعوب في تقرير مصيرها، مما جعلها في نظر العرب تمثل امتدادا للاستعمار القديم و خاصة عندما بدأت أجواء الحرب الباردة بالظهور بين الولايات المتحدة و دول أوروبا الغربية من جهة، والاتحاد السوفيتي و دول أوروبا الشرقية من جهة أخرى.

لقد انعكست أجواء الحرب الباردة بشكل كبير على منطقة حوض البحر المتوسط خاصة في شرق المتوسط. فقد تقدم الاتحاد السوفيتي عام 1945م إلى تركيا بمطالب إقليمية، و تلكأ في سحب قواته من إيران، و قام بدعم الشيوعيين في اليونان، كل ذلك دفع بريطانيا إلى طلب المساعدة من الولايات المتحدة لمواجهه الموقف ضد الإتحاد السوفييتي في الدول الثلاثة المذكورة (صبح، 1998أ، 64-71; Lenczowski, 1979, 797).

و بناء على اجتماعات الكونجرس الأمريكي بمجلسيه الشيوخ والنواب في أبريل نيسان و مايو أيار 1947م، فقد وافق الكونغرس على مبدأ ترومان الذي يهدف إلى إنقاذ منطقة شرق المتوسط من الخطر الشيوعي، و قد دللت الموافقة الأمريكية على أن هناك استعدادا أمريكيا لوراثة الاستعمار القديم في المنطقة العربية (المصدر السابق، 797).

إن الدور الذي لعبته الولايات المتحدة في عقد اتفاقيات الهدنة بين العرب و إسرائيل بعد الحرب العربية-الإسرائيلية الأولى 1948م، شكل الملامح الرئيسية لما ستكون عليه سياسة الولايات المتحدة في المنطقة العربية و ما حولها في العقود اللاحقة، فقد سعت الولايات المتحدة إلى تجميد الوضع القائم على الأرض و الذي تمخض عن قيام دولة إسرائيل على أراضٍ أكبر من التي خصصت لها بناء على قرار التقسيم.

قامت الولايات المتحدة و حليفتاها بريطانيا و فرنسا بإصدار البيان الثلاثي في 25 مايو أيار 1950م، و الذي كان موجها إلى الدول العربية وإسرائيل على حد سواء، لتنظيم عملية بيع الأسلحة لدول المنطقة (Khadduri, 1961, 20). دعا البيان إلى "تنظيم إرسال الأسلحة إلى العرب و إسرائيل بحيث تقتصر على الأسلحة الدفاعية فقط، حتى لا تنشغل الدول الكبرى بحرب عربية-إسرائيلية، و لتركز جهودها على مواجهة التغلغل السوفييتي في المنطقة، و إقامة سلام في المنطقة والتصدي باستمرار لأي استخدام للقوة أو باستخدامها من أي دولة من دول المنطقة تجاه أي دولة أخرى" (نقلا عن ربايعة، 1989م، 25).

شكل البيان تهديدا مباشرا للدول العربية في حال استخدام القوة ضد إسرائيل، وطالبها بوقف الحديث عن تحرير فلسطين أو الحديث عن الوحدة العربية، مما ساهم في كراهية العرب للولايات المتحدة الأمريكية وكشف عن توجهاتها ومخططاتها للمنطقة العربية، خاصة في وقوفها إلى جانب

بريطانيا وفرنسا مع ما تشكلانه من رفضهما للأماني القومية للعرب، وتحالفهما مع إسرائيل والصهيونية، التي تعتبر العدو الأول للعرب و حاجزاً حقيقياً لأي إمكانية مستقبليه لتحقيق الأماني العربية في التحرير و الوحدة، لقد كان البيان الثلاثي يهدف إلى تجميد الوضع القائم في فلسطين، وتثبيت خطوط الهدنة القائمة و التي بموجبها ابتلعت إسرائيل أراضي أكبر من التي خصصت لها في قرار التقسيم.

مع صدور البيان الثلاثي، بدأ البحث في الاستراتيجية الجديدة للولايات المتحدة والغرب في فرض هيمنتها على المنطقة العربية، والبدء في وضع المخططات الأمريكية للتحالفات الجديدة في المنطقة موضع التنفيذ.

ثانياً: مقترحات الدفاع عن الشرق الأوسط

كان مبدأ ترومان الذي جاء عقب أحداث إيران و تركيا عام 1946م و أحداث اليونان عام 1947م و الذي "يؤيد الشعوب الحرة التي تقاوم محاولة الإخضاع من قبل أقليات مسلحة (الشيوعيين) أو الضغط الخارجي (الاتحاد السوفييتي)" و الذي ترجم في 17 أكتوبر تشرين أول 1951م في شكل ضمانات أمنية أصدرها حلف الأطلسي، شملت اليونان و تركيا و شرق البحر الأبيض المتوسط ليكون بداية لترتيبات أمنية للدفاع عن الشرق الأوسط (سعودي، 2002م، 5 ; Lenczowski, 1979, 795).

في 13 أكتوبر تشرين الأول 1951م تقدمت كل من الولايات المتحدة و بريطانيا و فرنسا و تركيا بمشروع إنشاء قيادة دفاعية للشرق الأوسط Middle East Defense Command تشترك فيها الدول الأربع، على أن تكون مصر مركز قيادة هذه القوات في حين تسحب بريطانيا ما زاد من قواتها عن حاجة هذه القيادة من قناة السويس و تسلم قيادتها إلى الإدارة المصرية، و تتخلى بريطانيا عن معاهدة الدفاع عن مصر الموقعة عام 1936م، و ذلك لما توليه الولايات المتحدة و الغرب من أهمية لمصر في إقناع بقية الدول العربية بالموافقة على الانخراط في هذه القيادة (سعودي، 2002م).

لقد كان البيان الثلاثي و مقترحات الدفاع الرباعية دليلا على وجود سياسة أمريكية جديدة تهدف إلى فرض الهيمنة على البلدان العربية بالتحالف مع القوى الاستعمارية القديمة، و التي عانت البلدان العربية من حكمها على مدي عقود طويلة، و بالتالي نظر العرب إلى هذه المقترحات و البيان الثلاثي باعتبارها إجراءات غير منصفة و تهدف إلى حماية إسرائيل و تثبيتها في المنطقة، و إبقاء الدول العربية في حالة عجز دائم، و السيطرة عليها من قبل القوى الغربية الكبرى، و تبريراً لوجود القوات الأجنبية في المنطقة العربية في العراق و مصر و الأردن و الخليج و اليمن.

رفضت مصر العرض بعد يومين من تقديمه إليها، و بالتالي وجهت ضربة حقيقية لسياسة الولايات المتحدة في المنطقة و التي كانت تعتقد أنها ستنجح بسهولة و بسرعة. أدى ذلك كله إلى فشل الجهود التي بذلتها الولايات المتحدة لحشد دول المنطقة في منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط

أما الأسباب التي دعت مصر و البلدان العربية لرفض هذا التحالف في عام 1951م فهي:

1) تصاعد المد القومي و الوطني في البلدان العربية.
2) رفض العرب للتحالف مع دول الاستعمار الذي عانوا منه على مدار عقود طويلة.
3) وجود تركيا في المنظمة كان يعبر عن استخفاف الغرب بالمطالب العربية.
4) عدم شعور العرب بأي مشاعر عداء أو أي خلافات سياسية مع الاتحاد السوفيتي، خاصة و أن العرب لم يجدوا أي مؤشرات قادمة من الاتحاد السوفيتي تظهر أن له أي أطماع توسعية في المنطقة العربية.
5) العدو الرئيسي للعرب هي إسرائيل و الصهيونية التي تدعمها كافة هذه الدول صاحبة الاقتراح و ليس الاتحاد السوفييتي.

إن فشل الولايات المتحدة في إقناع الدول العربية بالانضمام إلى قيادة الدفاع عن الشرق الأوسط جعلها تعيد الترتيبات الخاصة بصياغة التحالفات على أسس جديدة في المنطقة خاصة مع تولي الرئيس الأمريكي الجديد أيزنهاور الرئاسة.

ثالثاً: استراتيجية أيزنهاور في المنطقة

قاد الجنرال أيزنهاور القيادة المشتركة للجيوش الغربية المنتصرة في الحرب العالمية الثانية، و بالتالي كان يمثل الوجه الجديد للولايات المتحدة الأمريكية كجنرال يملك مفاتيح القوة و مجد النصر و الرؤية الشاملة لبناء الولايات المتحدة كقوة إمبراطورية جديدة تستطيع أن تحقق كل ما تريد في العالم، و بالتالي فهو الشخص الأكثر قدرة على قيادة المرحلة القادمة في تاريخ الولايات المتحدة لتثبيت النصر و من ثم الهيمنة و الوقوف في وجه أي إمكانية للتمدد السوفييتي، و الانتصار عليه في الحرب الباردة، و التي كانت قد بدأت فعليا بين المعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي، و الغربي بقيادة الولايات المتحدة. إن قائد التحالف الغربي مطالب باستكشاف أحوال المعسكر الأخر (هيكل، 1985م).

أدرك أيزنهاور أهمية المنطقة العربية في أي استراتيجية أمريكية لاحتواء الاتحاد السوفييتي و منع أي إمكانية له للتغلغل إلى المنطقة، و بالتالي وضع خطته التي تنقسم إلى خمسة أقسام لتشكل في مجملها رؤيته الاستراتيجية للهيمنة على العالم وبناء الإمبراطورية الأمريكية الجديدة، و اعتمدت على التالي (مقابلة تلفزيونية مع هيكل، 9 يناير، كانون ثاني 2007م).

1) عزل الاتحاد السوفييتي.
2) الاستيلاء على البترول.
3) تحييد الكتل الآسيوية.
4) وراثة المستعمرات و الإمبراطوريات القديمة.
5) تصفية جيوب حلفاء الاتحاد السوفييتي.

هذه الرؤية الاستراتيجية للهيمنة الدولية شكلت الموجه الأساسي في تحرك الولايات المتحدة في المنطقة العربية، و التي كانت تشكل أهم الساحات للصراع المستقبلي بين الولايات المتحدة من جهة و الاتحاد السوفييتي من جهة أخرى، و عليها بنيت خطة أيزنهاور للتعامل مع المنطقة العربية على الأتي:

I) إقامة الحزام الشمالي

الذي يمتد من البحر الأسود حتى باكستان و الذي يشمل كلاً من تركيا و العراق و إيران و باكستان، و قد كلف الرئيس أيزنهاور (لوي هندرسون) الوكيل الدائم لشؤون شرق المتوسط في الخارجية الأمريكية لوضع الخطط اللازمة، و إجراء الاتصالات اللازمة لتنفيذ هذا الجزء من الخطة، و الذي أنجز بعد ذلك بوجود نوري السعيد في العراق، و عدنان مندريس في تركيا، و أحمد علي في باكستان، و أصبح يعرف بحلف بغداد (مقابلة تلفزيونية مع هيكل، 9 يناير، كانون ثاني 2007م).

تشكل إيران بموقعها الجغرافي عمقا استراتيجيا يربط بين الشرقيين الأوسط و الأقصى و تفصل بين جنوب الاتحاد السوفييتي و مياه المحيط الهندي، و عليه فقد شكل نظام الشاه في إيران الحليف الرئيسي للولايات المتحدة قاعدة أساسية لها في استراتيجية العزل ضد الاتحاد السوفييتي، و أيضا الشرطي اليقظ على مصالح الولايات المتحدة في منطقة الخليج، و بالتالي فإن سقوطه في نهاية حقبة السبعينيات كان بمثابة نكسة كبيرة للإستراتيجية الأمريكية في المنطقة (جرجس، 2002م، 175؛ Lenczowski, 1979, 813:801).

II) إنشاء مجلس تعاون وادي الأردن

جاءت هذه الفكرة نتيجة الخلافات التي نشبت على المياه في المنطقة بين العرب و إسرائيل خاصة مشروع تجفيف بحيرة الحولة، و من بعدها مشروع تحويل مجرى نهر اليرموك، استغلت الولايات المتحدة هذه النزاعات و حاجة كل دول حوض الأردن للمياه لطرح تصورها عن تشكيل هيئة تطوير نهر الأردن كمنظمة إقليمية تهدف إلى خلق تعاون مشترك بين الدول المطلة على نهر الأردن و روافده، مع إعطاء الوعود لهذه البلدان بان الولايات المتحدة و بالتعاون مع الأمم المتحدة ستساهم

بشكل فعال في تمويل كافة المشروعات المشتركة للاستفادة من مياه الأردن، و قد كلف أيزنهاور (اريك جونستون) لتنفيذ هذه الخطة (الموسى، 1997م، 174).

كذلك شهدت هذه الفترة محاولات أمريكية لمساعدة إسرائيل في تعويض اللاجئين الفلسطينيين أو إعادة توطينهم، و دعم كل من إسرائيل و الدول العربية اقتصاديا من خلال هذه الخطة الإقليمية للري (مشروع جونستون) من أجل المشاركة في مياه نهر الأردن (سعودي، 2002م، 60). كان الملك حسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية، و الرئيس اللبناني كميل شمعون، و رئيس الوزراء الإسرائيلي ديفيد بن غوريون على استعداد للاستجابة إلى هذه الخطة و لكن رفض سوريا في ذلك الوقت ساهم في عدم نجاحها.

III) الخطة (ألفا) لاستيعاب مصر

استولت ثورة 23 يوليو تموز 1952م على مقاليد الحكم في مصر، و بالتالي شعرت الولايات المتحدة أن أمامها فرصة كبيرة لخلق علاقة جيدة مع قيادة الثورة في مصر، و العمل على جذبها إلى مربع التحالفات الأمريكية المستقبلية في المنطقة العربية؛ لما لمصر من أهمية إستراتيجية في المنطقة، و ما لها من تأثيرات على الصعيد الإقليمي، و بالتالي وضعت الخطة (ألفا) في العام 1954م، التي ترتكز على (مقابلة تلفزيونية مع هيكل، 9 يناير كانون ثاني 2007م) :

1) إبعاد القيادة المصرية الجديدة عن الاتحاد السوفييتي.
2) مساعدة مصر اقتصاديا لمواجهة التحديات الاقتصادية و الاجتماعية.
3) تهيئة مصر لعقد صلح منفرد مع إسرائيل.
4) تمهد العلاقة المصرية الأمريكية لتواجد و نفوذ أمريكي قوي في المنطقة.
5) تشكل مصر مدخلا مناسبا للولايات المتحدة الأمريكية إلى أفريقيا.

اعتمدت الخطة على اقتطاع أجزاء من النقب و ضمها إلى مصر للربط بين مصر و الأردن بهدف إغراء نظام ناصر و ضمة إلى محور الاعتدال. هذا الأمر جعل إسرائيل تسرع في خلق حقائق في النقب من خلال الاستيطان فيه حيث إن القناعة الإسرائيلية منذ البداية تمثلت في أنه يجب أن يكون لها إطلالة على البحر الأحمر من خلال ميناء إيلات (Yaneef, 35-81).

لأهمية هذه الخطة كلف أيزنهاور (هنري بايرود) مساعد وزير الخارجية الأمريكي لقيادة هذه الخطة و العمل على تنفيذها، و لكن سرعان ما اصطدمت تصورات الولايات المتحدة مع طموح القيادة المصرية الجديدة، خاصة بعد عقد مصر لصفقة الأسلحة مع تشيكوسلوفاكيا في فبراير شباط 1956م، هذا السلوك المصري جعل الولايات المتحدة تمارس ضغطا على البنك الدولي بعدم السماح للأخير تمويل مشروع السد العالي، مما دفع عبد الناصر للجوء للإتحاد السوفييتي لتمويل بناء السد.

IV) دعم إسرائيل باعتبارها رصيدا استراتيجيا

كانت إسرائيل في بداية تكوينها، و لكن كل المعطيات الأمريكية كانت تدلل على أنها ستحتفظ بمكانة هامة في هذه المنطقة الحساسة و الهامة بالنسبة لمصالح الولايات المتحدة، و بالتالي وجد صانعو السياسة الأمريكيون منها كنزا استراتيجيا يمكن أن يشكل بديلا عن المخططات (في حال فشلها) المطروحة لجمع العرب في الأحلاف التي تحاول الولايات المتحدة صياغتها في المنطقة، و بالتالي فإن على الولايات المتحدة العمل على تدعيم وجود إسرائيل و المحافظة عليها كرصيد مهم يمكن الاعتماد عليه مستقبلا في المنطقة.

استمر هذا الدعم في العقود التالية لإنشاء إسرائيل، فبعد الحرب الإسرائيلية على منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان عام 1982م، كافأت الولايات المتحدة إسرائيل بعد الحرب، بعقد اتفاق التعاون الاستراتيجي معها عام 1983م، و الذي يسمح للولايات المتحدة بتخزين الأسلحة في إسرائيل و يسمح لإسرائيل باستخدام هذه الأسلحة عند الحاجة خصوصا أوقات الحرب و كذلك الاستفادة من مصادر المعلومات الأمريكية، كما وقعت الولايات المتحدة اتفاقا للتجارة الحرة مع إسرائيل، حيث يفتح الاتفاق لمنتجات الأخيرة أسواقا واسعة في الولايات المتحدة (مطر و هلال، 2001م، 124).

مهما أخلص المعتدلون العرب فلن يستطيعوا بحكم تكوينهم القومي و تربيتهم الوطنية و ارتباطاتهم الشعبية، أن يقدموا للولايات المتحدة خدمة استراتيجية كما تؤديها إسرائيل التي تشترك مع الولايات المتحدة في خيوط مشتركة كثيرة منها النظرة الاستعمارية الواحدة، و المنهج المادي السياسي الواحد و التقاء المصالح الاستراتيجية (النابلسي، 1986م، 44).

فشل التحالفات و بداية الصراع في منطقة الشرق الأوسط

أولا: صدام الأفكار و السياسات

شكلت الولايات المتحدة موقفها من المنطقة العربية في حدود مصالحها الاستراتيجية فقط، و بالتالي لم تكن تنظر إلى مصالح المنطقة و شعوبها و تاريخها الطويل في مواجهة الاستعمار، حيث اصطدمت هذه الرؤية الأمريكية بالتوجهات التحررية العربية سواء الوطنية أو القومية، مما جعل الولايات المتحدة في موقف ضعيف خاصة مع فقدانها لمصداقيتها في الصراع العربي الإسرائيلي.

I) فشل توسع حلف بغداد

في 8 شباط 1955م وقعت العراق مع تركيا على معاهدة عسكرية، تلا ذلك توقيع العراق على معاهدة عسكرية مع بريطانيا لتكتمل بذلك حلقة حلف بغداد (الكيلاني، 1991م، 165). لقد شكل التوجه العراقي المحاولة الوحيدة الناجحة و التي حاولت الولايات المتحدة البناء عليها لاختراق

المنطقة، و العمل على إيجاد حلفاء لها وبناء تحالفات تعتمد بشكل أساسي على استراتيجيتها المذكورة سابقا، و بالفعل حاول نوري السعيد رئيس وزراء العراق آنذاك، و بالتعاون مع تركيا و بدعم بريطاني أمريكي توسيع حلف بغداد باتجاه الغرب ليشمل سوريا و لبنان و الأردن، و لكن سرعان ما اصطدمت هذه المحاولات بمعارضة سورية في فبراير شباط 1955م، و بالتالي كانت أول إخفاق لتمدد حلف بغداد تجاه الغرب.

أما في الأردن فقد كان الملك حسين بن طلال مستعدا لأن تنضم بلاده إلى حلف بغداد، على أمل أن يقوم هذا الحلف بتعزيز وجود الأردن، و رد الأطماع المحيطة به من مجمل جيرانه تقريبا، و بالفعل استقبل الملك حسين بعثة (تمبلر) في ديسمبر كانون الأول 1955م، الهادفة إلى بحث كيفية انضمام الأردن إلى حلف بغداد، إلا أن هذه المحاولة اصطدمت أيضا بالمظاهرات الشعبية، و أدت إلي أزمة حقيقية عندما استقال الوزراء الفلسطينيون من الحكومة الأردنية، عندها شعر الملك حسين بتهديد جدي لعرشه، و اضطر إلى رفض الانضمام للحلف. استمرت الأزمة السياسية في الأردن بعد ذلك حتى تم طرد غلوب باشا في مارس آذار 1956م، و توقيع اتفاقية التعاون المشترك بين مصر و الأردن، لتقضي على أي أمل أو إمكانية لتوسيع حلف بغداد في المنطقة العربية (حامد، 2002م، 51).

مع نهاية العام 1955م و العام 1956م وقعت مصر معاهدات عسكرية ثنائية مع كل من سوريا (اثر الحشود التركية على الحدود السورية)، و الأردن و السعودية (اثر تصاعد الاعتداءات على الأراضي الفلسطينية)، و من ثم وقعت سوريا اتفاقاً عسكرياً ثنائياً مع الأردن، و انتهت الأمور بتوقيع اتفاقية ثلاثية ضمت مصر و الأردن و سوريا (الكيلاني، 1991م، 166).

لقد انهارت الخطة الاستراتيجية الأمريكية لصياغة التحالفات التي تريدها و بالطريقة القديمة التي حاولت اتباعها. و ما كادت تمر بضعة شهور حتى تفجرت في يوليو، تموز 1958م ثورة عبد الكريم قاسم التي أطاحت بالأسرة الهاشمية في العراق.

II) حرب السويس و بدء الصراع

في السادس و العشرين من يوليو تموز 1956م أعلن جمال عبد الناصر تأميم الشركة العالمية لقناة السويس و تحويلها إلى شركة مساهمة مصرية تحت إدارة مصرية بسبب رفض البنك الدولي تمويل بناء السد العالي. شكل القرار المصري ردا قاسيا على المواقف الغربية و خاصة الأمريكية، و رغم رفض الولايات المتحدة لقرار ناصر إلا إنها آثرت عدم اللجوء إلى القوة العسكرية لإجبار مصر على التراجع، و لكن تطور الأحداث ساهم في زيادة الشق بين مصر و الولايات المتحدة، عندما أغلقت مصر مضايق تيران و منعت حركة السفن في خليج العقبة. حيث اعتبرت الولايات المتحدة

السلوك المصري تهديدا لأمن المنطقة و حرية الملاحة الدولية و يشكل خطرا على أمن إسرائيل.

إن استعداد الاتحاد السوفييتي لبناء السد العالي و تقديم مساعدات مالية و اقتصادية غير مشروطة لمصر شكل تحولا استراتيجيا في العلاقة العربية الأمريكية، و أعلن عن نقلة نوعية في السياسة الأمريكية في المنطقة العربية.

في التاسع والعشرين من أكتوبر تشرين أول 1956م، اندفعت القوات الإسرائيلية لتهاجم القوات المصرية في سيناء، و تتجه غربا نحو قناة السويس و جنوبا نحو شرم الشيخ، و ذلك تحت ذريعة فتح مضايق تيران و قناة السويس أمام الملاحة، و بالفعل اقتحم الجيش الإسرائيلي قطاع غزة و شبه جزيرة سيناء بسرعة مجبرا الجيش المصري على الانسحاب و التمركز غرب قناة السويس و الانتشار بين السكان لحماية مدن القناة ضمن صفوف القوات الشعبية (هرتزوغ، 1993م، 139–168؛ الكيلاني، 1991م، 190–200).

لم تتأخر بريطانيا و فرنسا في الطلب من الطرفين و قف القتال قبل أن تتدخل لإجبارهما على ذلك، و بالفعل و كما كان متفقا عليه بين إسرائيل و بريطانيا و فرنسا، لم توقف إسرائيل القتال، و تدخلت بريطانيا و فرنسا و شنت هجوما كاسحا جويا و بحريا علي الإسماعيلية و السويس و الإسكندرية، و حاولت الإنزال في بورسعيد و بورفؤاد، و لكن المقاومة المصرية حالت دون سيطرة هذه القوات على قناة السويس (بلاك و موريس، 1998م، 75:76).

أثار هذا التحالف الولايات المتحدة وعبر الرئيس الأمريكي أيزنهاور عن رفضه لهذه الحرب و طلب من وزير خارجيته دالاس الطلب من بريطانيا و فرنسا و إسرائيل الانسحاب الفوري من الأراضي المصرية (Khadduri, 1961, 20) و بالتشاور مع الاتحاد السوفييتي صدر قرار الأمم المتحدة بوقف الحرب و بالفعل بدأ الانسحاب الإسرائيلي من سيناء و غزة و انتهى في الثامن من مارس آذار 1957م، ليعلن ميلاد إمبراطورية جديدة في العالم و انهيار الإمبراطوريات القديمة (بريطانيا و فرنسا)، و كذلك تحقيق انتصار سياسي للنظام المصري الجديد، ليفتح أفاقاً جديدة في العلاقة مع الولايات المتحدة و أيضا التحالفات داخل المنطقة العربية.

لقد كانت حرب السويس 1956م نقطة تحول في سياسة الهيمنة الأمريكية فبدلا من الحرص على لعب دور الشريك لبريطانيا في الهيمنة على المنطقة كان تدهور وضع بريطانيا دافعا لإيجاد سياسة أمريكية جديدة تتحمل الولايات المتحدة من خلالها مسؤولية الدفاع عن مصالح الغرب و نفوذه في المنطقة (حامد، 2002م، 49؛ Badeau, 1965, 284).

III) صعود المد الثوري القومي

أدت نتائج حرب السويس إلى زيادة قوة مصر الإقليمية و دورها في المنطقة العربية، و بالتالي

تأثيرها على صيرورة الحركة داخل المنطقة بل حتى التحكم فيها، و تخوفت الأنظمة الحاكمة في العراق و سوريا و الأردن و لبنان من زيادة النفوذ المصري و المد القومي الناصري و القوى الأخرى المعادية للغرب و الولايات المتحدة. حاول الملك حسين في الأردن التمرد على هذا المد الثوري و طلب المساعدة من بريطانيا التي قامت بإرسال قوات إلى الأردن لحماية النظام، و أعلن نوري السعيد توحيد الأردن والعراق في مملكة هاشمية واحدة، و نصب نفسه رئيسا لحكومتها و أصدر تعليماته للجيش العراقي بالتوجه إلى عمان لحمايتها، و لكن الجيش عاد إلى بغداد و أسقط الملك و حكومة نوري السعيد، و في لبنان و نتيجة لسياسة كميل شمعون المتجاوبة مع الغرب، اندلعت الحرب الأهلية في لبنان و تدخلت الولايات المتحدة بقوات مشاة البحرية الأمريكية (المارينز) بذريعة حماية لبنان من التدخل السوري.

يعتبر عام 1958م من أهم سنوات تطور النظام العربي، فقد أطلق عبد الناصر العنان للرؤية القومية و الوحدة العربية، و جرت أول اتفاقية للوحدة بين مصر و سوريا، و أرسل عبد الناصر جيشه إلى اليمن لدعم الجمهوريين ضد الحكم الملكي، و بدأت السعودية في عملية إصلاح حقيقية للمملكة بعد فترة من الجمود، و ازدادت قوة الثورة الجزائرية و الليبية بفضل الدعم المصري، و ازداد نفوذ الاتحاد السوفييتي خاصة في مصر و العراق و سوريا و جنوب اليمن، مما شكل تهديدا حقيقيا لمصالح و سياسات الولايات المتحدة في المنطقة العربية (صبح، 1998ب).

IV) مبدأ أيزنهاور

إن الأحداث التي عصفت بالمنطقة بعد حرب السويس أدت إلى فشل المحاولات الأمريكية لربط الدول العربية بنظام الدفاع الغربي الأمريكي، و بالتالي تخلت الولايات المتحدة عن هذا الهدف و السعي بدلا من ذلك لضمان استمرار نفوذها في المنطقة و وقف انتشار النفوذ السوفييتي، من خلال سياسة تحقيق الاستقرار و توازن القوى الإقليمي، و كان تخلي الولايات المتحدة عن محاولات ربط الدول العربية بنظام الدفاع الغربي قد أتاح لها الفرصة لتطوير سياسة تقوم على مبدأ تنمية الصداقة مع الدول العربية إلى جانب إسرائيل بشكل منفرد، و الاستفادة من إسرائيل المستقرة سياسيا و القوية عسكريا لضمان الاستقرار و توازن القوى في المنطقة، و هنا أطلق الرئيس أيزنهاور مبدأه الذي أقره الكونجرس في مارس آذار 1957م، و الذي يخول الرئيس الأمريكي تقديم مساعدات اقتصادية و عسكرية لدول في المنطقة و استخدام القوة العسكرية للدفاع عن منطقة الشرق الأوسط ضد التوسع السوفييتي (حامد، 2002م).

إن مبدأ أيزنهاور مثل محاولة لدعم مصالح الولايات المتحدة النفطية و التجارية في الشرق الأوسط عقب فشل حلف بغداد و الهزيمة السياسية لحلفائها الذين تورطوا في حرب السويس. و قد

وضع هذا المبدأ موضع التنفيذ عدة مرات، ففي أبريل نيسان 1957م قدمت الولايات المتحدة أول مساعدة مالية لدولة عربية هي الأردن بقيمة 10 ملايين دولار، لدعم النظام في مواجهة المعارضة، و أيضا دعمت الولايات المتحدة الانقلابيين في سوريا في العام نفسه، كما تدخلت عسكريا في لبنان في يوليو تموز 1958م (المصدر السابق، 51).

٧) حرب يونيو/حزيران1967م

تعثرت تقريبا كافة مشاريع الولايات المتحدة في الخمسينيات والستينيات في تحقيق أهدافها، و في نفس الوقت أيضا توقفت ملامح المراهنة الأمريكية على سياسة الاحتواء للنظم العربية الناشئة خاصة في مصر و سوريا، و ذلك بعد التدخل المصري في اليمن و الصدام مع السعودية حليف الولايات المتحدة، مما أدى إلى تحول استراتيجي تجاه إسرائيل، و أصبحت الولايات المتحدة لأول مرة مصدرا مباشرا للأسلحة لها، و قد أشار الرئيس كندي إلى أن التوازن في القوى سيكون المبدأ الذي ستتبناه السياسة الأمريكية في المنطقة، و سمح لإسرائيل لأول مرة، القيام بدور استراتيجي و استمرت هذه السياسة الأمريكية تجاه إسرائيل و ازداد الدعم لها في أثناء إدارة جونسون.

جاءت حرب يونيو حزيران 1967م لتمثل قمة الصدام بين الولايات المتحدة و العرب و خاصة التيار القومي التحرري العربي الذي يقوده عبد الناصر، حيث انتقمت الولايات المتحدة من عبد الناصر لسماحه للاتحاد السوفييتي الدخول للمنطقة العربية و مساهمته في إفشال خططها لإنشاء أحلاف لها بالمنطقة.

انتهت حرب يونيو حزيران بهزيمة العرب، و بالتالي صعد الاتجاه السائد في الإدارة الأمريكية الذي يطالب بدعم غير محدود لإسرائيل و الاهتمام بها لتنفيذ سياسات الولايات المتحدة في المنطقة، و قد تزعم هذا التوجه مستشار الرئيس للأمن القومي هنري كيسنجر. و تراجع نفوذ الفريق المدافع عن سياسة التوازن في العلاقات الأمريكية العربية بقيادة وزير الخارجية في ذلك الوقت وليام روجرز (غليون، 1999م).

قامت السياسة الأمريكية على أساس الاعتماد على إسرائيل كقاعدة ردع لحماية المصالح الأمريكية، و ذلك إعمالا لما بات يعرف في ذلك الوقت بمبدأ (نيكسون – كيسنجر)، و هو المبدأ الذي تبلور في خطاب الرئيس الأمريكي (نيكسون) في الثاني من نوفمبر تشرين الثاني 1969م، و في رسالة الرئيس الأمريكي عن حالة الاتحاد في العام الذي تلاه الذي يقوم على اعتماد الولايات المتحدة على دول معينة في أقاليم مهمة في العالم للقيام بالدفاع عن مصالح الولايات المتحدة بدلا من التدخل الأمريكي المباشر للدفاع عن هذه المصالح، حيث ورد اسم إسرائيل في المنطقة العربية. و قد اختبر هذا المبدأ عندما استعانت الولايات المتحدة بالجيش الإسرائيلي لمنع الجيش السوري من

التدخل و اجتياح الأردن لحماية قوات الثورة الفلسطينية من هجمات الجيش الأردني أثناء أحداث سبتمبر أيلول 1970م (المصدر السابق).

و هذا يؤكد الاعتقاد الأمريكي أنه ليس هناك أمل في وجود عالم عربي مستقر، و تقيم الولايات المتحدة حساباتها على حتمية انفجار هذه المنطقة و تفجر مجتمعاتها، و يدخل هنا الدعم غير المشروط لإسرائيل في هذه الحسابات مباشرة، فهي الضامن الوحيد للسيطرة على الوضع العربي المتفجر، كما يدخل في هذه الحسابات أيضا نشر قوات أمريكية ثابتة في نقاط متعددة من العالم العربي.

إن ما سبق يؤكد أن سياسة الولايات المتحدة ما بعد الحرب العالمية الثانية تجاه المنطقة العربية لم تؤد إلى النتائج المرجوة منها، و بالتالي خضعت للمراجعة مرات عديدة لتحاول البحث عن طرق جديدة وقيادات جديدة تستطيع أن تتوافق و تخدم المصالح الأمريكية في المنطقة بغض النظر عن مصالح شعوبها.

ثانياً نمو الهيمنة الأمريكية على المنطقة في حقبة السبعينيات

شهدت بداية السبعينات تحولات مهمة في النظام الدولي و العلاقات الدولية كان أهمها; بداية الوفاق بين الولايات المتحدة و الاتحاد السوفييتي، و بروز القوة الاقتصادية الأوروبية و اليابانية، و الأزمة الداخلية في الولايات المتحدة بعد فضيحة (ووتر غيت)، و أزمة الديمقراطية و التخلف التكنولوجي في الإتحاد السوفييتي، و بدء الصعود الصيني كقوة عالمية جديدة، و بالتالي فقد وجدت الولايات المتحدة نفسها أمام المنطقة العربية بكل مكوناتها السياسية و الاقتصادية و الإستراتيجية بما فيها إسرائيل داخل شبكة معقدة من التفاعلات سواء بالصداقة أو العداء أو ما بينهما، و بالتالي اضطرت إلى التعامل معها بشكل مختلف عما كان في السابق و تبنت سياسات جديدة.

I) تطويع النظم و التخلص من العناصر الثورية

انتهت حرب الاستنزاف بين إسرائيل و مصر في سبتمبر/أيلول 1970م، و اشتعلت الحرب الداخلية في الأردن بين النظام في الأردن و منظمة التحرير الفلسطينية، مما أدى إلى عقد اجتماع القاهرة للمصالحة بين ياسر عرفات و الملك حسين برعاية جمال عبد الناصر، بعد أيام من توقيع الاتفاق توفي جمال عبد الناصر ليخلفه أنور السادات ليشكل ذلك تحولا في النظام السياسي العربي و منظومة العلاقات العربية الخارجية خصوصا مع الولايات المتحدة.

جاء تغيير الزعامة في مصر عام 1970م و تولي السادات السلطة كبداية لتطورات بعيدة المدى ليس فقط في علاقات مصر بالولايات المتحدة، و إنما أيضا في علاقاتها بالعالم العربي و دورها في

المنطقة (حامد، 2002م، 62)، رحبت الولايات المتحدة بصعود السادات إلى الحكم و قيامه بالتخلص من الموروث الثوري لعبد الناصر، و بالتالي وجدت في زعامته الفرصة المناسبة لإحداث التغيير نحو إنشاء علاقات أمريكية عربية مميزة تنقل نمط العلاقة القائمة على الاحتواء إلى العلاقة القائمة على التحالف، و فتحت أحداث الأردن الطريق أمام الحكومة الأردنية لتمتين العلاقة مع الولايات المتحدة لتصبح علاقات مميزة، و أجبرت قوات منظمة التحرير الفلسطينية للرحيل إلى لبنان بكل تعقيدات الأخير السياسية و الطائفية و الدينية و تركيبته السكانية، و التي أدت فيما بعد إلى اندلاع الحرب الأهلية فيه، حيث دفع الشعبان اللبناني و الفلسطيني عشرات آلاف الضحايا في أتون تلك الحرب.

في تلك الحقبة صعد دور المملكة العربية السعودية و تبوأت دورا اكبر في السياسة العربية، و هذا لم يزعج الولايات المتحدة حيث تجمعها مع المملكة علاقة أقرب للتحالف، و عملت الولايات المتحدة على محاصرة العراق و شغلت سوريا بالحرب الأهلية في لبنان، و بالتالي فإن هذه الفترة سمحت بانهيار المفاهيم و القيم العربية المقاومة للنفوذ الأمريكي في المنطقة و زيادة فرص الاختراق الأمريكي للنظام العربي بأكمله.

II) إضعاف النفوذ السوفيتي

شهدت الفترات السابقة في معادلات السياسة في المنطقة العربية نفوذا سوفيتيا كبيرا بعد العدوان الثلاثي على مصر، و ازداد هذا النفوذ بعد حرب يونيو حزيران 1967م نتيجة الدعم السوفييتي الكبير لإعادة بناء الجيوش العربية و بخاصة الجيش المصري.

فعلى سبيل المثال تلقت مصر من الاتحاد السوفييتي وحده (من غير الدول الاشتراكية) في العام 1969م أسلحة و معدات حربية يساوي ما استوردته مصر منه في 12 عاماً (1955م–1967م). و بلغ عدد المستشارين السوفييت في مصر في عام 1970م حوالي 1200 مستشار (و هم من الجيش السوفييتي)، و قد قتل منهم أثناء حرب الاستنزاف 20 فردا و هم يدافعون عن الأراضي المصرية، و رواتب القتلى السوفييت تحملها الاتحاد السوفييتي و ليس مصر. لم يبخل المستشارون السوفييت ببذل كل طاقاتهم و خبراتهم و أرواحهم لرفع القدرة القتالية و تحديث القوات المسلحة المصرية (الكيلاني، 1991م، 357–359).

أما الخبراء السوفييت فوصل عددهم إلى 3000 خبير، حيث نظمت عملية تواجدهم من خلال عقود بين وزارة الحربية المصرية و وزارة التجارة الخارجية السوفييتية، و هم بالأصل ضباط فنيون في القوات المسلحة السوفييتية أو في مصانعها، حيث تطلبهم وزارة الحربية المصرية في تخصصات معينة في ورش القوات الجوية أو في سلاح الصواريخ، أو في تركيب أو إصلاح معدات فنية معقدة

(المصدر السابق، 359).

أما أفراد الوحدات الصديقة كما كان يطلق عليها، فقد بلغ عددها في العام 1970م حوالي 5,500 فرد، و هم ضباط و جنود حضروا بمعداتهم و أسلحتهم و عرباتهم و أجهزتهم و طائراتهم ابتداء من مارس آذار 1970م، و تمركزوا في مواقع استكمالا لخطة الدفاع الجوي عن كل الأراضي المصرية، و مهمتهم كانت في العمق المصري و ليس في الجبهة. و كانت مهمتهم مؤقتة لحين استكمال تدريب و إعداد الضباط و الجنود المصريين (المصدر السابق، 359).

لقد جاء التدخل السوفييتي ليضع حدا للقصف الإسرائيلي لجميع الأراضي المصرية، فقد أعلن دايان (وزير الحرب الإسرائيلي آنذاك) "إن كل مصر هي ميدان قتالنا" و بالفعل تمكن الجيش المصري و بمساعدة و دعم سوفييتي كبير من استكمال بناء حائط الصد لمنع الطيران العسكري الإسرائيلي من تنفيذ مهمات قتالية ضد المصالح المصرية غرب القناة (صايغ، 1978م، 9).

لقد رأت إسرائيل أن حربها بعد حرب يونيو حزيران 1967م، ما هي إلا حرب مع الإتحاد السوفييتي، و يصف قائد سلاح الجو الإسرائيلي العميد هود أداء السوفييت في مصر "ان القبضة الروسية متخفية تحت القفاز المصري" (نقلا عن صايغ، 1978م، 19).

إضافة إلى هذا الوجود في مصر، فقد تقارب الاتحاد السوفييتي كثيرا مع دول عربية أخرى مثل العراق و جنوب اليمن و سوريا و ليبيا. إن هذا التقارب و التواجد السوفييتي في المنطقة أصبح يشكل إزعاجا و تهديدا لمصالح الولايات المتحدة، و بالتالي فإن رؤيتها الاستراتيجية لاستيعاب النظم العربية و دعم حلفائها في المنطقة يتطلب تحذيرهم من العلاقة مع الاتحاد السوفييتي، و إجبارهم على تقليص نفوذه و خاصة في مصر.

استغلت الولايات المتحدة وصول السادات إلى الرئاسة في مصر لتنفيذ خطتها، و بالفعل قام الرئيس السادات بطرد الخبراء والمستشارين السوفييت من مصر في عامي 1971م و 1972م، و بالتالي عرفت الولايات المتحدة أنها أمام متغيرات هامة في المنطقة العربية و أن حليفا جديدا لا يقل أهمية عن إيران و إسرائيل يتقدم لمسك زمام الأمور في القاهرة، و بناء على ذلك توجهت الجهود الأمريكية لدعم هذا الحليف ومساعدته على التخلص من تبعات النظام السابق.

III) تبعات حرب أكتوبر تشرين أول 1973م

في السادس من أكتوبر، تشرين ثانٍ 1973م اندفعت القوات المصرية لتهاجم القوات الإسرائيلية شرق قناة السويس و استطاعت في خطة محكمة و بسالة عالية عبور القناة و التمركز و خوض الحرب شرق القناة بعد اجتياح و انهيار خط (بارليف) القوي الحصين، و قد واكب الحرب موقفا عربيا، قد لا يتكرر حين استخدم العرب النفط كسلاح في الحرب، حيث توقفت إمدادات النفط للدول

التي تدعم إسرائيل و منها الولايات المتحدة، و تسبب استخدام النفط كسلاح في إحداث أزمة للطاقة و الاقتصاد على المستوي الدولي.

إن تدخل الولايات المتحدة لجانب إسرائيل في الحرب قد جعل اتجاهات الحرب تتغير لصالح إسرائيل، حيث قامت الولايات المتحدة بإنشاء جسر جوي بينها و بين إسرائيل لنقل الأسلحة و الإمدادات العسكرية لإسرائيل، و كذلك قامت الولايات المتحدة بتحرك دبلوماسي لوقف القتال و عملت على إصدار قرار مجلس الأمن الدولي رقم 338، و فعلا قبل السادات بوقف إطلاق النار بشكل منفرد تاركا حلفاءه السوريين لمواجهة كامل القوات الإسرائيلية مما أدى إلى تراجعهم إلى الخطوط السابقة للحرب.

كان هدف هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي في ذلك الوقت قبل و بعد حرب أكتوبر هو حمل مصر على مفاوضات مباشرة وجها لوجه مع إسرائيل و كانت إسرائيل راغبة في ذلك أيضا. أرادت الولايات المتحدة و إسرائيل من ذلك خلع مصر من مكانها في الجدار العربي و من ثم اختراق هذا الجدار و تطويق المحرمات و المقدسات ثم تأتي بعد ذلك أية فوائد سياسية و عسكرية و غير ذلك مما قد تحصل عليه إسرائيل من سلام منفرد مع مصر (هيكل، 1996م، 189).

إن حرب أكتوبر أثبتت أن السادات استخدمها لتذكير الولايات المتحدة بالصراع العربي الإسرائيلي و دفعا باتجاه اتخاذ خطوات لحل هذا النزاع إذا أرادت حلفاء من العرب لها في المنطقة، و هذا ما أدركه هنري كيسنجر، و بالتالي نجح في إبرام اتفاق فصل القوات الأول في 1974م و من ثم نجح في إنجاز اتفاقية فصل القوات النهائي في اجتماعات أسوان 1975م، و التي نصت بوضوح على أن لا عودة للحروب بين العرب أو مصر تحديدا و إسرائيل، وان السلام و التسوية السلمية هي الخيار الاستراتيجي المصري حتى لو كان سلاما منفردا مع إسرائيل.

IV) الحرب على منظمة التحرير الفلسطينية

في العام 1978م اجتاحت إسرائيل جنوب لبنان في محاولة منها للقضاء على قوات منظمة التحرير الفلسطينية في جنوب لبنان، و في يونيو حزيران 1982م شنت إسرائيل و بدعم أمريكي كامل حربا واسعة النطاق ضد قوات منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان حيث وصل الجيش الإسرائيلي العاصمة اللبنانية بيروت و حاصرها لما يقارب الثلاثة شهور للقضاء على قيادة منظمة التحرير، و قد لعب المبعوث الأمريكي الخاص للشرق الأوسط فيليب حبيب دوراً أساسياً في المفاوضات غير المباشرة بين إسرائيل و منظمة التحرير، حيث انتهت مهمته بالوصول إلى اتفاق يقضي بإخراج قوات منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان، و توزيعها على الدول العربية. و إبعاد أخر تهديد استراتيجي لإسرائيل في ذلك الوقت.

كانت من نتائج حربي 1978م و يونيو حزيران 1982م ضد منظمة التحرير الفلسطينية:

1) انتهاء حقبة التضامن بين العرب و مد المعونة لبعضهم زمن الحرب، حيث تركت منظمة التحرير الفلسطينية تواجه مصيرها بنفسها في حربين امتدتا لشهور.
2) انتهاء زمن الحروب العربية – الإسرائيلية، و بدأ ما يعرف بالحروب الإسرائيلية ضد طرف عربي بمفرده، مثل الحرب الإسرائيلية ضد منظمة التحرير أو الحرب الإسرائيلية ضد حزب الله و هكذا ...
3) أجمعت الدول العربية كلها (المعتدلة و المتطرفة) و لأول مرة في تاريخ الصراع العربي – الإسرائيلي على موافقتها لحل الصراع مع إسرائيل عبر المفاوضات السياسية، و ذلك بما صدر عن القمة المنعقدة بمدينة فاس المغربية في العام 1983م. لقد كان مشروع فاس بحد ذاته انتصارا للرؤية الأمريكية لحل الصراع بالمنطقة عبر المفاوضات و ليس عبر الحرب. فالولايات المتحدة تدرك أنها الوحيدة التي تمتلك مفاتيح الحل في المنطقة، و ليس الإتحاد السوفييتي. و مع بداية حقبة التسعينيات اعتبر العرب أن السلام هو خيارهم الاستراتيجي لحل الصراع مع إسرائيل، مما زاد من نفوذ الولايات المتحدة في المنطقة.

الخلاصة و الاستنتاجات

راهن العرب على الصعود الأمريكي في الشؤون الدولية بعد الحرب العالمية الثانية تأثرا بالصورة البراقة لها، و التي كانوا يعتقدون أنها على النقيض تماما من صورة الاستعمار القديم الذي عانوا منه طويلا خاصة الاستعمارين البريطاني و الفرنسي، و كان تطلع العرب إلى مساندتها لهم في تحقيق أمانيهم القومية، ينطلق مما أعلنته الولايات المتحدة من دعمها و مساندتها لحق الشعوب في تقرير مصيرها و استقلالها الوطني.

لم يدم الرهان العربي على الصعود الأمريكي طويلا، فقد انتهى هذا الرهان عندما حاولت الولايات المتحدة منذ بداية الصراع العربي – الإسرائيلي انتزاع اعتراف عربي و إقليمي بدولة إسرائيل، و إنهاء حالة الحرب مع الدولة الوليدة عبر محاولات عدة؛ إما بغواية الدول العربية خاصة مصر، أو بالضغط عليها، و لكن هذه المحاولات باءت بالفشل بسبب الجو العام الرافض للأمر الواقع و كذلك رفض القوى القومية و التحررية الصاعدة آنذاك في الوطن العربي لوجود إسرائيل، إدراكا منها لمدى خطورة وجودها على المستقبل العربي.

شكل العدوان الثلاثي على مصر عام 1956م عاما مفصليا في مجرى الأحداث في المنطقة، حيث استغلت الولايات المتحدة ذلك العدوان على مصر لتنقض على البقية الباقية من إرث الإمبراطوريتين البريطانية و الفرنسية، و لتفرض نفسها اللاعب الوحيد في المنطقة. و بالتالي وضع

(إيزنهاور) خطته الاستراتيجية للهيمنة على المنطقة العربية و التحكم فيها.

إن هزيمة يونيو حزيران 1967م كانت الضربة القاسمة لمشروع العرب كأمة، و لكن لم تستطع هذه الحرب إدخال الجميع في الحظيرة الأمريكية، و إن كانت مهدت الطريق أمام عدد من الزعامات للاستيلاء على كل المواقع خاصة بعد وفاة عبد الناصر، و خروج المقاومة الفلسطينية من الأردن، وبالتالي بدأت مرحلة جديدة قادها السادات رسخت في حرب أكتوبر تشرين أول 1973م، و من بعدها اتفاقية فصل القوات الأولى والثانية، و التي قادته بعد سنوات قليلة لزيارة القدس و توقيع اتفاق سلام مع إسرائيل. لقد أعطى الدعم و الرعاية الأمريكية لمفاوضات التسوية بين مصر و إسرائيل نفوذا ملحوظا و متزايدا لها منذ منتصف السبعينيات.

إن تتبعنا للسياسة الأمريكية في المنطقة العربية في الفترة الممتدة من نهاية الحرب العالمية الثانية عام 1945م حتى نهاية حقبة السبعينيات أوصلنا إلى الاستنتاجات التالية:

1) أن هناك صعوبة في دراسة السياسة الأمريكية تجاه الوطن العربي حيث لا توجد سياسة أمريكية واحدة تجاهه، فالمنطقة تقع ضمن الإستراتيجية الأمريكية الكونية، و لكنها من الصعب التعميم فيها لسبب إن هذه السياسة تختلف من دولة إلى أخرى، و من فترة إلى أخرى تجاه الدولة نفسها.

2) أن تحليل السياسة الأمريكية و تحالفاتها في المنطقة العربية يرتبط بكثير من العوامل و المؤثرات سواء عوامل داخلية (جماعات المصالح، وسائل الإعلام، طبيعة الإدارة)، أو إقليمية أو دولية. فكل هذه العوامل تؤثر في السياسة الأمريكية سواء باتجاه التحالف أو الصراع.

3) أن السياسة الخارجية الأمريكية عملية متدفقة يديرها صانعو السياسة في ضوء أهداف شبه ثابتة، و لكن تحت ظروف متغيرة، حيث يحاول صانعو السياسة دائما تطويعها لخدمة الأهداف شبه الثابتة.

4) في ضوء كل ذلك فإن الولايات المتحدة صاغت سياستها و دعمت دولا في حروبها، و عقدت اتفاقيات و تحالفات مع أنظمة سياسية بالمنطقة، كل ذلك لخدمة أهداف استراتيجية لم تتغير، و إن طرأ بعض التغير على بعضها، فالنتيجة أن الولايات المتحدة سواء لجهودها أو لضعف القوى الأخرى في المنطقة استطاعت تحقيق جل أهدافها و التي كان على رأسها:

i) الحد من نفوذ الاتحاد السوفييتي في المنطقة و إخراجه منها، و هذا ما تحقق بشكل كبير في حقبة السبعينيات. لينتهي هذا الوجود بانهياره في العام 1991م، و لتصبح الولايات المتحدة هي القوة الوحيدة المهيمنة على المنطقة.

ii) استطاعت الولايات المتحدة ضمان مصالحها البترولية، بل حتى السيطرة المطلقة على كل منابع النفط و الاحتياطي العالمي منه الموجود بالمنطقة، و أمنت طرق نقله و استمرار تدفقه في كل

الظروف و بأسعار تحت السيطرة.

iii) استطاعت الولايات المتحدة الحفاظ على أمن إسرائيل و تفوقها العسكري، و صاغت مبادرات و اتفاقات سلام تؤكد من خلالها الاعتراف بإسرائيل و حقها بالعيش بسلام مع جيرانها العرب.

iv) عملت الولايات المتحدة جاهدة لعدم إمكانية قيام وحدة عربية بل حتى تضامن عربي في حده الأدنى، بل عملت على إضعاف كل المؤسسات الوحدوية العربية بما فيها الجامعة العربية، و ساندت مفاهيم القطرية العربية، و بنت التحالفات المختلفة لتخدم مصالحها.

المصادر والمراجع

أولا المراجع العربية:

أحمد، أحمد؛ حمزة، ممدوح، تحرير (2002م). صناعة الكراهية في العلاقات العربية–الأمريكية، مطابع الأهرام التجارية، الطبعة الأولى، قليوب، مصر.

بلاك، ايان؛ موريس، بني (1998م). الحروب السرية للاستخبارات الإسرائيلية (ترجمة)، دار الحرف العربي للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت، لبنان.

بلقيز، عبد الإله (2002م). الولايات المتحدة والمغرب العربي. في غريب، ادموند، تحرير. الوطن العربي في السياسة الأمريكية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

جرجس، فواز (2002م). الأمريكيون والإسلام السياسي: تأثير العوامل الداخلية في صنع السياسة الأمريكية. في غريب، ادموند، تحرير. الوطن العربي في السياسة الأمريكية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

حامد، رؤوف (2002). الصعود الأمريكي في الشؤون الدولية في أعقاب الحرب العالمية الثانية وردود الفعل العربية. في أحمد، أحمد؛ حمزة، ممدوح، تحرير. صناعة الكراهية في العلاقات العربية–الأمريكية، مطابع الأهرام التجارية، الطبعة الأولى، قليوب، مصر.

الحوت، بيان نويهض (1991م). فلسطين القضية الشعب الحضارة، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

ربايعة، غازي (1989م). الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والصراع في الشرق الأوسط 1967–1987، الطبعة الأولى، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

زعيتر، أكرم (1955م). القضية الفلسطينية، دار المعارف بمصر، القاهرة، مصر.

صايغ، يوسف و أخرون تحرير (1978م). حرب عبد الناصر الأخيرة: حرب الاستنزاف، دار القدس، بيروت، لبنان.

صبح، علي (1998 أ). الصراع الدولي في نصف قرن، دار المنهل اللبناني، بيروت، لبنان.

صبح، علي (1998 ب). النزاعات الإقليمية في نصف قرن، دار المنهل اللبناني، بيروت، لبنان.

الطويل، كمال (2002م). أمريكا والعرب. في غريب، ادموند، تحرير. الوطن العربي في السياسة الأمريكية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

غريب، ادمون؛ و آخرون (2002م) تحرير. الوطن العربي في السياسة الأمريكية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

غرين، ستيفن (1992م). الانحياز: علاقات أمريكا السرية بإسرائيل (ترجمة)، الطبعة الثانية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، القدس، فلسطين.

غليون، برهان (1999م). العرب و معركة السلام: نقد السياسة العملية، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان.

الكيلاني، هيثم (1991م). الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

مطر، جميل و هلال، علي الدين (2001م). النظام الإقليمي العربي: دراسة في العلاقات السياسية العربية، الطبعة السابعة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

النابلسي، شاكر (1986م). قطار التسوية والبحث عن المحطة الأخيرة، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

سعودي، هالة (2002). السياسة الأمريكية تجاه الوطن العربي في أعقاب الحرب العالمية الثانية. في أحمد، أحمد؛ حمزة، ممدوح، تحرير. صناعة الكراهية في العلاقات العربية–الأمريكية، مطابع الأهرام التجارية، الطبعة الأولى، قليوب، مصر.

هرتزوغ، حاييم (1993م). الحروب العربية–الإسرائيلية :1948–1982 (ترجمة) سينا للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر.

هلال، علي الدين (1979)، "الأمن العربي والصراع الاستراتيجي"، *شئون عربية*، العدد 9، سبتمبر 1979م.

هيكل، محمد (1985م). الحل و الحرب، الطبعة الخامسة، شركة المطبوعات و النشر، بيروت، لبنان.

هيكل، محمد (1996م). عواصف الحرب و السلام. الطبعة الخامسة، دار الشروق، بيروت، لبنان.

مقابلة تلفزيونية مع مجمد حسنين هيكل على قناة الجزيرة الفضائية لبرنامج تجربة حياة يوم 9 يناير، كانون ثاني 2007م.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

Badeau, John S. U.S.A. and U.A.R.: A Crisis in Confidence, Foreign Affairs; An American Quarterly Review, Jan 1965, pp 281-296.

Elmusa, Sharif (1997). Negotiating Water: Israel and the Palestinians, Institute for Palestine Studies, Beirut, Lebanon

Khadduri, Majed. American Foreign Policy in the Middle East, 1949-1960: An Appraisal, SAIS Review (School of Advanced International Studies of the Johns Hopkins University), Spring, 1961. pp18-22.

Lenczowski, George. The Arc of Crisis: Its Central Sector, Foreign Affairs; An American Quarterly Review, Spring 1979, pp796-820.

Smith, Charles (1992). Palestine and the Arab-Israeli Conflict, ST. Martin's Press, New York.

Yaneef, Abnayeer (No Date). Politica wa Estrategya be Israeel, (Politics and Strategy in Israel), Unknown Publisher and Year of Publication.